أبواب قصور قصبة مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني

The doors of the Kasbah palaces of Algiers at the end of the Ottoman period

Les portes des palais de la Casbah d'Alger à la fin de l'époque Ottomane

د.علي بن بلة

معهد الآثار، جامعة الجزائر2

تاريخ الإرسال: 2018-10-31– **تاريخ القبول:** 2019-11-25 - **تاريخ النشر:** 2021-11-28

ملخص

يتناول المقال إحدى المشغولات الخشبية الفنية التي تزدان بها قصور قصبة الجزائر أواخر الفترة العثمانية، ممثلة في الأبواب بمختلف أنواعها وأشكالها من رئيسية وخاصة بالمرافق وأخرى بالقاعات وبالغرف مع التعريف بالمواد التي تدخل في صناعتها كالمعادن وتركيبتها والزخارف التي تزينها.

الكلمات الدالة: خشب؛ مدينة الجزائر؛ فترة عثمانية؛ قصر؛ باب؛ مصراع؛ خوخة؛ مزلاج.

Résumé

Le but de cet article est de mettre en évidence un important élément architectural constitué des portes des palais de la Casbah d'Alger à l'époque ottomane, en étudiant les matériaux utilisés dans leur fabrication, leurs compositions, leur typologie, et les différents décors qui les ornent.

Mots-clés: bois; palais; Alger; ottoman; porte; portillon; décor.

Abstract

This study is about an important architectural work in palaces of Algiers city in ottoman period, wooden doors, their utilization, typology, Composition and different elements and decoration.

Keywords: wood; Algiers; ottoman; palace; door; decoration.

مقدمة

شهدت مدينة الجزائر خلال الوجود العثماني حركة معمارية واسعة، أسفرت عن تشييد العديد من العمائر المختلفة، دينية مثل المساجد والأضرحة، وعسكرية وعمومية كالحمامات وعيون المياه ومدنية مثل الدور والدويرات الموجودة داخل

القصبة والتي تعكس المكانة الاجتماعية لمشيديها إضافة إلى منازل موزعة في مناطق عديدة من فحص المدينة.

بُنيت هذه العمائر وفق تصاميم وتقنيات بمواد بناء مختلفة من حجر ورخام وخشب وبلاطات خزفية، منها المحلي الصنع ومنها المستورد، أفضت إلى إخراج هذه المنشآت - وخاصة قصور قصبة الجزائر- بمظهر جمالي جذاب، و من أهم هذه العمائر نذكر: قصور خداوج العمياء، مصطفى باشا، حسن باشا، دار عزيزة، دار الصوف...الخ التي بني أغلبها من طرف دايات الجزائر أواخر العهد العثماني مع نهاية القرن الثامن عشر الميلادي.

يأتي هذا المقال لتسليط الضوء على إحدى المشغولات الخشبية الفنية التي تزخر بها هذه القصور ألا وهي الأبواب بمختلف أنواعها،والتي هي في انسجام فني تام مع المشغولات الخشبية الأخرى مثل الدرابزينات، النوافذ، والخزانات، السقوف .فهي تضيف من الجمالية على القصر، وتؤدي دورا أمنيا في الحفاظ على خصوصية ساكنيه.

1. حول الباب

1.1 تحديد مصطلح الباب

الباب، مفرد جمعه أبواب أو بيبان، وهو بمعنى المدخل أو الطاق الذي يدخل منه، وأيضا بمعنى ما يغلق به ذلك المدخل من درف خشب وغيره (إبن منظور، 1988)،وقد يكون المدخل في سور المدينة أو واجهة المسجد أو القصر، وقد يكون أيضا في جدار البيت أو بين الغرف ويطلق أيضا على مدخل المنبر وفتحات الخزائن. ويغلق الباب بمصراع أو اثنين أو أكثر واستعملت عدّة مواد في صناعة وزخرفة الأبواب في العصر الإسلامي وتراوحت مابين البسيطة مثل وبر الجمال وشعر الماعز حيث تسدل سترا على أبواب المساكن، والثمينة مثل خشب الساج والعاج وصفائح الذهب والنحاس والأحجار الكريمة. (أمين وإبراهيم 1990)

2.1 مكوّنات الباب

إن صناعة الأبواب هي من مهام النجارين، ويتم تشكيلها في الورشة، باستعمال خشب الأرز الذي كان يجلب من غابات الجزائر، وهو يتميز برائحته الزكية وسهولة التحكم في

تصنيعه. وكان هناك نوعان من الأبواب، الباب ذا المصراع الواحد والباب ذا المصراعين، فالأول تتكون أساسا بالإضافة إلى الإطار من مصراع واحد وخوخة (باب صغير بكوة). فهو مكوّن من هيكل كبير تتخلله خوخة، يركب من عوارض وقطع عمودية تتخللها ألواح مجمعة بتقنية النقر واللسان على هيئة شبكة متينة، ترتب فيها الحشوات، ويزيد من قوة وصلابة المشغولات أيضا باستعمال المسامير مختلفة. يدور المصراع عند نهايتيه من الأعلى والأسفل ببروز أسطواني منحوت في الخشب، يرتكز محوره من الأسفل في العتبة داخل نتوء في الحجر أو الرخام ومن الأعلى في ساكف، أما الخوخة الواحدة فتضمن حركيتها من خلال مفاصل مثبتة بشكل أزواج في الخوخة والمصراع.(Mokadem, 1992)

وتظهر ألواح المصراع والخوخة من الخارج بوضعية متواصلة ومصفوفة بطريقة لو غلق الباب يظهر وكأنها قطعة واحدة. ويحرص على النجار قياس ارتفاع وعرض فتحة المدخل قبل تنفيذ الباب، بما أن حجم المشغولات يمكن أن تتغير حسب موقع المدخل في الحي واختيار المالك صاحب المبنى.(Mokadem, 1992)

يتألف الباب من إطار يثبت في الجدار ومن حاجب يخفي خطوط الالتصاق بين الحائط والباب ومن مصاريع تزداد وتنقص حسب أتساع المدخل، ويخفي خط التصاق المصراعين أنفا يثبت في أحدهما، ويتكون المصراع من إطار وعوارض تتخللها حشوات بأشكال هندسية وزخارف مختلفة. وللباب عتبة عليا تسمى الساكف وأخرى سفلى تسمى الأسكفة، وتتنوع الملحقات المعدنية من مزاليج ومفاتيح وأقفال وساقوطات ومطارق من الشكل الوظيفي إلى أعلى مستوى من الدقة في التصميم والتنفيذ.

كما تعلى الأبواب بمناور مزججة في أطر خشبية أو جصية أو حديدية متشابكة ملتوية متداخلة بأشكال فنية، وغالبا ما يفصل بين المنور والباب عتبة حجرية قد تحتوي هي الأخرى على بعض العناصر الزخرفية. (غالب، 1988)

2. أنواع الأبواب

1.2 أبواب المداخل الرئيسية

تتميز مداخل قصور قصبة مدينة الجزائر بنماذج الأبواب بكبر المقاسات وبالمتانة والخشونة لأنها تعطي خاصية الحماية لسكان القصر أو الدار ونلاحظها بسيطة في المداخل الفرعية ذات العلاقة بالمرافق العامة والمعيشية. (الشكل رقم 1).

تتركب هذه الأبواب الرئيسية من مجموعة ألواح مستطيلة الشكل، شكلت بوضعية عمودية وأفقية بواسطة تقنية النقر واللسان، في حين ثبتت الألواح من الخارج بمسامير برونزية ذات رؤوس مستديرة محزوزة (الصورة رقم1، الشكل رقم 3)، متبعة وضعية الألواح، لهذا نلاحظها بشكل هندسي أفقي وعمودي، مشكلة الزخرفة الوحيدة في مادة الخشب، مضافا إليها تلك التي تحلي المطرقة النحاسية التي عادة ما تأخذ شكلا نباتيا.

أما من حيث التركيبة فالملاحظ أن الأبواب الرئيسية تتكون عموما من باب كبير يتوسطه باب أصغر يسمى محليا باب الخويخة، صمم بهذه الطريقة لعدم ترك مجال للمارة ملاحظة ما يجري بداخل الدار، وتترك للراجلين للاستعمال اليومي، في حين كانت تفتح الباب الرئيسية للراكبين.

يتم تثبيت باب الخويخة في عضادة الباب الكبير بواسطة مسمارين طويلين يثنيان إلى الإتجاه المعاكس بطريقة يجعلهما يلتحمان في نهاياتهما ليظهرا كأنهما جزء واحد، وهذا حتى يستقر الباب في مكانه. أما عن حركية المصراع فإنه يفتح على محور مثبت من الأسفل في الأرضية داخل مكعب من الرخام موجود بعتبة الباب(الصورة رقم 2)، ومن الأعلى داخل حفرة بالساكف أو في مجاز الباب الخشبي. (عقاب، 2000)

كما تحتوي الأبواب الرئيسية على مطارق (الشكل رقم 2) والمطرقة عبارة عن أداة من المعدن، تشبك بالباب، من الخارج، بحيث يمكن تحريكها والقرع على قاعدة معدنية لإحداث صوت يسمع من بالداخل، ومه أخذت تسمية سماعة وهي تلعب دورا هاما في آداب الدخول التي عنى الإسلام بإقرارها، كما روعي في تنفيذها ملاءمتها لحجم الباب.(علي يوسف، 2003)

وهناك من الأبواب الرئيسية التي تحتوي عند مقدمتها على ظلة auvent، كما هو الشأن في باب دار مصطفى باشا. (الصورة رقم 1)

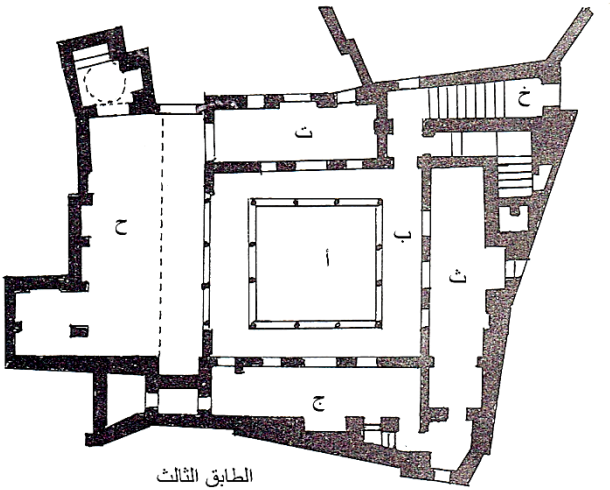

الشكل رقم 1: مقطع عمودي لباب رئيسي.

المصدر: محمد الطيب عقاب، 2000، قصور مدينة الجزائر في العهد العثماني، دار الحكمة، الجزائر.

الصورة رقم 1 : قصر الصوف، باب رئيسي تعلوه ظلة.

الصورة رقم 2: النتوء الدائري محور دوران الباب من الأسفل بالعتبة.

الشكل رقم 2: نموذج من المطارق المستعملة في الأبواب الرئيسية الخارجية.

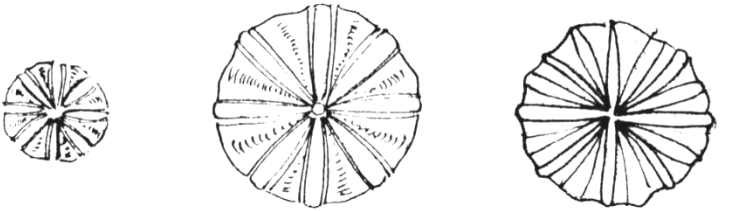

الشكل رقم 3: نماذج لرؤوس المسامير المستعملة في زخرفة الأبواب الرئيسية.

2.2 أبواب المرافق

نجد هذا النوع من الأبواب في المرافق الموجودة بالقصر وعند السلالم (الشكل رقم 4)، وهي تختلف تماما عن تلك التي تقع بمداخل القاعات والغرف وهي تتشابه من حيث التركيب مع الأبواب الرئيسية في حين تختلف عنها في زخرفة الواجهات، فهنا نلاحظها مشكلة من حشوات أي قطع صغيرة مستطيلة موضوعة عموديا وأفقيا تتخللها حشوات مربعة، ففي الأولى تحيط الأضلاع تارة بمعين وتارة أخرى بمعينين، أما المربعة الشكل فتوسطها وردة تختلف عدد البتلات فيها من نموذج لآخر. هذا التشكيل الزخرفي يعطي للباب قوة وصلابة، ويكسر أشعة الشمس الموجهة إليه، كما يعلو أبواب المرافق إطار مستطيل، يحتوي في الغالب حشوة أو حشوات مخرمة بزخرفة نباتية.كما نجد في القسم العلوي من الإطار وبالضبط في نفس مستوى الباب شكل عقد بزخارف نباتية في الجهتين صممت بطريقة متناظرة.(الصورة رقم 3)

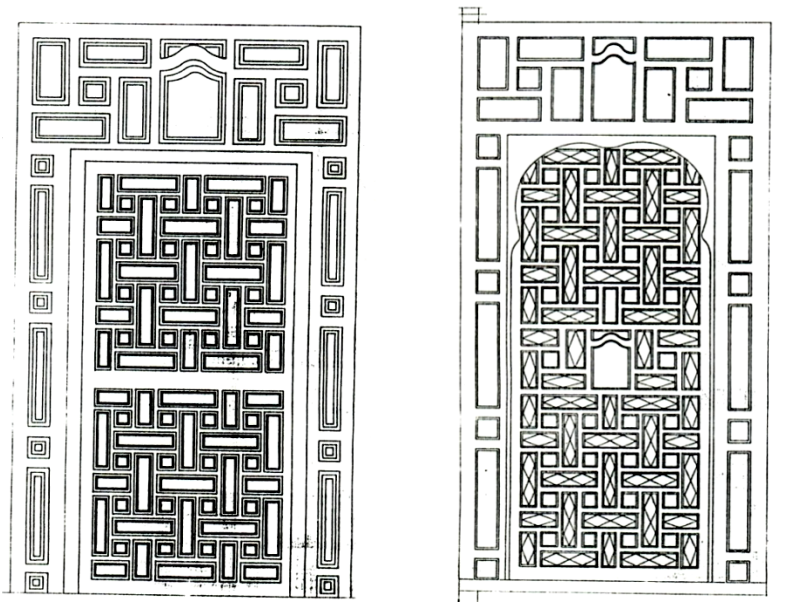

أ- وجه الباب . ب- ظهر الباب.

الشكل رقم 4: باب مرفق.

المصدر: المؤسسة الإيطالية لترميم المباني التاريخية.

الصورة رقم 3: قصر خداوج، باب سلم بالطابق الأول.

3.2 أبواب القاعات والغرف

تختلف هذه الأبواب عن سابقاتها من حيث الحجم فهي كبيرة ومكونة من مصراعين كبيرين مستطيلين يكادان ملامسة سقف الرواق، (عقاب،2000) يفتح بهما خوختين، ثبت كل مصراع من الأسفل بأرضية الرواق داخل قطعة رخامية محفورة، في حين أدخل بوتد ذي شكل كابولي بارز إلى الأمام يحتوي على زخارف بسيطة (اللوحة رقم 1)، كما تتميز هذه الأبواب بتركيبهما من مجموعة حشوات مستطيلة ومربعة مجمعة بتقنية

النقر واللسان، تتراوح أشكالها بين المستطيلة بمعيّنين بارزين وبمعيّن واحد بوضعيات متناوبة بين النائمة والقائمة تتخللها مربعات ذات وردة بارزة بست بتلات (الشكل رقم5)، يتميز القسم العلوي من فتحة الخوخة باتخاذه شكل عقد مدبب مفصص، زخرفت واجهته في الركنين بزخرفة الرقش العربي النباتي ثبت المصراعان بثمانية أزواج من المفاصل الحديدية، كما تم ربط الخوختين بالمصراعين بواسطة خمسة أزواج من المفاصل(الشكل رقم6)، ويغلقان بمزلاجين برونزيين صغيرين أسطوانيين مضلعين، ينتهيان من جهة بشكل مدبب على شكل قلم رصاص(الصورة رقم 4)، ومن الجهة الأخرى بجزء مسطح يركب على وجه الخوخة، ويدخل داخل حلقتين مثبتتين على الخوختين، تنتهي كل واحدة بنهايتين تشكلان مسامير تثبت بإعادة حنيهما إلى الوراء بظهر الخوختين، في حين يربط المزلاج الطويل الذي يربط المصراعين بعضهما البعض، والذي يقع عند الضلع العلوي من الخوختين (الشكل رقم7). عادة ما تحلي هذه الأبواب كل قاعات المستوى السفلي من الدار وغرف الطابق الأول، عددها أربعة في كل مستوى، ويبقى المصراعان مفتوحان طول النهار على أن عرض كل مصراع يفصل النوافذ الواقعة من الجانبين.(Misaim, 2003)

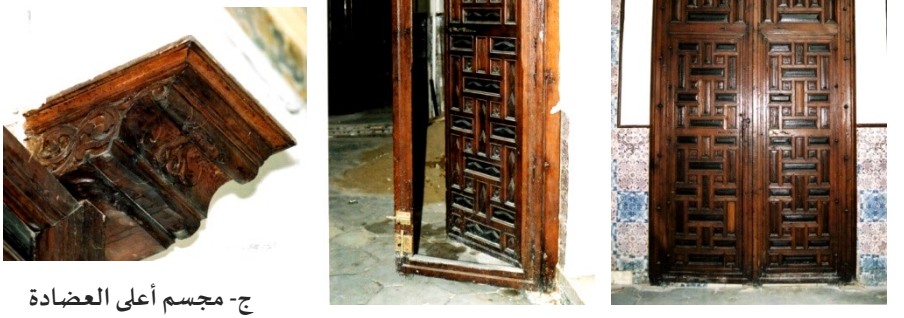

أ- وجه الباب ب- الخوخة ج- مجسم أعلى العضادة بشكل كابولي

اللوحة رقم 1: قصر حسن ياشا، باب قاعة.

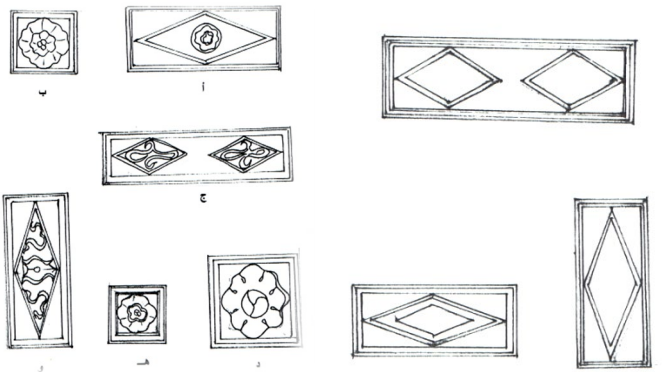

الشكل رقم 5: معينات مستطيلة بمعين ومعينين وأخرى مربعة تتوسطها وردة.

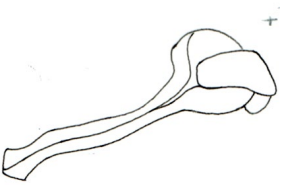

الشكل رقم6: زوج مفاصل تربط بين الإطار والمصراع.

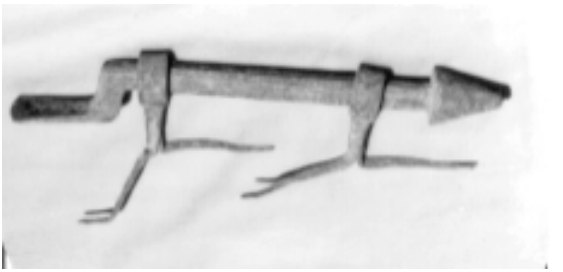

الصورة رقم4: مكوّنات مزلاج خوخة باب.

المصدر: المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.

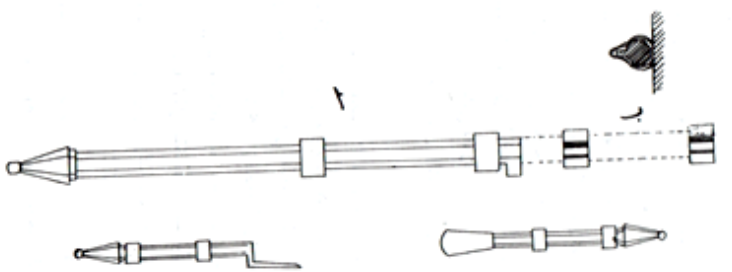

الشكل رقم 7: مكوّنات مزاليج في المصراعين والخوختين.
المصدر: محمد الطيب عقاب، 2000، قصور مدينة الجزائر في العهد العثماني، دار الحكمة، الجزائر.

لا بد من الإشارة إلى ضرورة المحافظة على هذا الإرث المادي الذي بالرغم من وجوده داخل قصور حوّل معظمها إلى مؤسسات ثقافية وخاصة إلى متاحف عمومي غير أن طبيعة المادة العضوية للخشب تجعله لحاجة إلى عمليات صيانة دورية وإن تحتم الأمر إلى ترميم. ومن طرق المحافظة عملية الحقن بإدخال بعض السوائل مثل الحقن في الفراغ، وهي طريقة ترتكز على إدخال السائل الحافظ في مسام الخشب في البداية عندما تكون الأخشاب ممطلة من جراء نفوذ الهواء الخارجي أو الحقن في إنبيق بإدماج سائل مطهر بواسطة الضغط. ((Auge, (s.d)). كما أصبح من الضروري إستعمال وسائل حماية للخشب مثل البرنيق الطبيعي أو الإصطناعي. (Rudel, 1975)

خاتمة

من خلال هذا المقال، نلاحظ على الأبواب الرئيسية للقصور وجود تناغم مع الشكل العام للمداخل الرخامية، والتي تنم عن المكانة الاجتماعية التي شغلها صاحب القصر،بالإضافة إلى ما تتسم به من قوة وصلابة وخاصية الزخرفة في استخدام المطارق في الباب والخوخة على صفائح نحاسية مخرمة أحيانا واستعمال المسامير البرونزية ذات الرؤوس المقببة المحزوزة المثبتة على شكل خطوط متوازية على حواف المصراعين، فهذه الفكرة وإن وجدت في تونس غير أن الموضوع الزخرفي على الأبواب التي غالبا ما تكون زرقاء يغلب عليه العناصر النباتية، هذا من جهة كما نسجل على الأبواب الرئيسية المدروسة غياب الأقفال الأصلية.

أما فكرة تزيين أبواب الغرف والقاعات وكذا أبواب المرافق بالحشوات والتي هي فكرة جزائرية بامتياز وفق طريقة تدعى محليا بالقاطع والمقطوع أو القايمة والنايمة، عادة ما تكون فيها الحشوة المستطيلة محلاة بمعين أو معينين والمربعة منها تتوسطها وردة، وهذا التصميم يكون أحيانا من الخارج فقط مثل ما هو عليه الحال في أبواب قصر خداوج، كما قد يكون على وجه وظهر المصراع مثل قصري مصطفى باشا والحمراء، ونجد هذا التصميم أيضا على دفف نوافذ وخزانات هذه القصور وقلّما نعثر على أبواب داخلية خالية من الحشوة المخرمة، التي تأخذ تارة شكل مشربية، وتكون في أحيان أخرى مزخرفة بعناصر نباتية.كما هناك وحدة في استعمال وتوزيع الملحقات المعدنية الخاصة بعمليتي الغلق والطرق على الأبواب. (مزالج، متاريس، مطارق) وكذا وجود آليات فتح وغلق متعددة في الباب الواحد، والمصراع، والخوخة، فالكل بفتح ويغلق حسب ما تفرضه الحاجة والأمن والطقس.

المراجع

1. ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، 1988.لسان العرب المجلد الأول، دار الجيل، بيروت.
2. أمين محمد محمد وإبراهيم ليلى علي، 1990. المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية 648-823 هـ/ 1250-1517م، الطبعة الأولى، دار النشر بالجامعة الأمريكية، القاهرة.
3. عقاب محمد الطيب، 2000. قصور مدينة الجزائر في العهد العثماني، دار الحكمة، الجزائر.
4. غالب عبد الرحيم، 1988. موسوعة العمارة الإسلامية، الطبعة الأولى، جروس برس، بيروت.
5. Auge C., (s.d). *Nouveau Larousse illustrée*, Tome 2, librairie Larousse, Paris.
6. Missoum S., 2003. *Alger à l'époque Ottomane: la médina et la maison traditionnelle*, Inas, Alger.
7. Mokadem H., 1992. *La porte Maroco-Andalouse de Rabat-Salé*, Mémoire de fin d'études de IIème cycle, INSAP, Rabat.